مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد06 / العـــدد: 02 (2022)، ص ص 181-198

قراءة إثنوغرافية للحياة الثقافية والاجتماعية لولاية المدية بالجزائر

An ethnographic reading of the cultural and social life of Medea

د. بلعربي غنيـــة *	د. زوقـــاي مونيـــة
جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج مخبر المنظمات والمناجمنت (الجزائر)	جامعة علي لونيسي- البليدة 02 (الجزائر)
ghania.belarbi@univ-bba.dz	ayamouna47gmail.com

تاريخ الاستلام: 20/.05/.2021 **تاريخ القبول: 20/..05/.2022**

الملخص:

سنحاول في هذه الدراسة الأنثروبولوجية التركيز على أهم مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية لولاية مدية باعتبارها منطقة أثرية ساحرة تعرف بالعديد من الآثار وتزخر بموروث سوسيوثقافي، والذي يمثل نموذج للحضارة الاجتماعية العريقة والتي قبلت بنظام مراحل الحياة الجديدة، ولم تقبل بالتخلي نهائيا عن خصائصها القديمة، ولا يزال مجتمعنا بحاجة إليها سواء كانوا مثقفين أو غير مثقفين.

كلمات مفتاحية: الإثنوغرافيا.،الموروث السوسيوثقافي.، العادات والتقاليد.، الحضارة.

Abstract:

In this anthropological study we will try to focus on the most important aspects of the cultural and social life of the state of Medea , as it is a charming archaeological area known for its many antiquities and rich in sociological heritage, which represents a model of ancient social civilization that accepted the system of new life stages, and did not accept permanently abandoning its old characteristics, nor Our society still needs it whether they are cultured or uneducated.

***Keywords** : Ethnography, Alsosiot cultural heritage, customs and traditions, civilization*

* **بلعربي غنية**

1. مقدمة:

إن الأرشيف الهائل لمجال الإثنوغرافيا الذي أنتجه علماء الأنثروبولوجيا وسلفهم منذ أواخر القرن التاسع عشر كان عبارة عن سلسلة من الصور لما هو محلي، أكثر مما هو سلسلة من صور إنتاج المحلية باعتبارها عملية نشيطة ومستدامة ومتواصلة والتي تنبثق في وجه قوى التفكك والإزاحة والصعوبات المادية والتآكل الاجتماعي التي تواجهها كل المجتمعات .

وكما كانت الفكرة آنذاك أن المحلي كان دائماً في حالة استمرار فإن سلوك الإنسان باعتباره كائن اجتماعي يصدر في أشكال وأنماط منتظمة و لديه القدرة على إنتاج الثقافة وهي أهم خاصية تميزه عن باقي المخلوقات، فالعادات والتقاليد والأفكار التي يشارك فيها أفراد المجتمع والتجارب التي يمر بها الإنسان تستقر في أعماقه ويستخدمها المجتمع جيلا بعد جيل ويحولها إلى قيم وتراث جماعي، وعليه فالثقافة لا توجد إلا بوجود المجتمع قد يتفق مع بعض الناس في كل شيء كما قد يكون الاتفاق في بعض الأشياء، فالثقافة هي البيئة المحيطة بالإنسان التي هي من صنعه، وتمثل الحصيلة الإجمالية لمعارفه ومعتقداته وفنونه وأخلاقياته وعاداته وتقاليده وقيمه، وقدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان في عرف المجتمع.

إن المتفحص لتاريخ المناطق الجزائرية ومختلف البقايا الأثرية والتاريخية المنتشرة عبر مساحتها، يتيقن أن الجزائر تزخر بموروث حضاري ضخم يمتد حتى الفترات البدائية، وباعتبار ولاية مدية هي واحدة من بين هذه المناطق فإن تعاقب الحضارات المتوافدة على هذه المنطقة منذ الفترات القديمة خلق امتزاجا حضاريا فريدا من نوعه خلف العديد من المدن والمباني وآثار مادية، و التي تمثل اليوم الموروث السوسيوثقافي ومعالم أثرية و تاريخية للولاية، و هذا ما ساهم في فتح المجال لإجرائنا لهذه الدراسة واهتمامنا بالتراث الثقافي باعتباره يشكل خريطة للولاية من هذا المنطلق نسعى من خلال هذه الدراسة للإجابة على التساؤل الرئيسي التالي:**ماهي أهم المعالم التي ترسم مظاهر الحياة السوسيوثقافية لسكان ولاية مدية من خلال عاداتهم وتقاليدهم اليومية ؟.**

2. تحديد المفاهيـــم:

1.2.تعريف الثقافـــة:

1.1.2.التعريف اللغوي:

هي التمكن من العلوم والمعارف والفنون والآداب التي يطلب الحذق فيها [1].

2.1.2. التعريف الاصطلاحي:

يعرفها تايلر:" هي ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والتقاليد وأي قدرات وعادات أخرى يتعلمها الإنسان كعضو في المجتمع"[2].

---

[1]. الهواري، صلاح الدين(2010)، **المعجم الوسيط** ، بيروت: دار مكتبة الهلال للنشر،ص200.

[2]. بشير،خلف(2013)، **مؤنســات ثقافية**، الجزائر: دار الهدى للنشر،ص18.

لسلي وايت :"عرف الثقافة باعتبارها تلك القدرة الترميزية عند الإنسان ويخلص"وايت"إلى القول بأنه لا يوجد إنسان بدون ثقافة ولا توجد ثقافة بدون إنسان "[3].

لقد انتقد مالك بن نبي مفهوم الثقافة في المدرسة الغربية والمدرسة الاشتراكية ويحدد رأيه بمفهوم الثقافة بقوله:"أن الثقافة تعرف بصورة علمية على أنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه[4]، والثقافة على هذا المحيط الذي يشكل في الفرد طباعه وشخصيته وهذا التعريف الشامل للثقافة هو الذي يحدد مفهومها

2.2. تعريف الإثنوغرافيـا:

إن مصطلح الإثنوغرافيا يتكون من مقطعين الأول "إثنو" بمعنى جنس أو شعب والثاني"غرافي"وتعني وصف وبذلك تعرف الإثنوغرافيا بأنها وصف لثقافات وحياة الشعوب[5].

كما تعرف بأنها الدراسة التحليلية للمجموعات الإثنية "العرقية" المعاصرة(دراسة تلك المجموعات المادية والاجتماعية واللغوية)،وهي ملاحظة وتسجيل المادة الثقافية من الميدان ووصف النشاط الثقافي كما يبدو فهي الدراسات الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات وأصناف التراث الخاصة بالإثنيات،أي تلك التجمعات الإنسانية التي تمتاز ببنية عائلية واقتصادية واجتماعية متجانسة حيث تقوم الوحدة على لغة وثقافة مشتركة[6].

ويعرفها **مرسي واتكنسون**(البحث الإثنوغرافي بأنه منهجية بحث اجتماعي يتميز بالانخراط العميق للباحث حيث أنه يقع بين حدود البحث الكيفي السوسيولوجي لمجرد الفهم وبين البحث الإجرائي كون هدفه الفهم والمشاركة في التغير نحو الأفضل، فمن حيث المنهجية يقتضي البحث الإثنوغرافي قيام الباحث بمعايشة المجتمع موضوع البحث لجمع البيانات كتدوين المشاهدات اليومية أو إجراء مقابلات مع المبحوثين إضافة إلى تحليل الوثائق واليوميات ذات الصلة حيث أن هذا النوع من الأبحاث يتطلب وقتا طويلا، فقد يستغرق بحث إثنوغرافي فترة تمتد مابين سنتين إلى 10 سنوات وما يميز البحث الإثنوغرافي عن بقية الأبحاث الكمية هو عدم وجود فرضيات مسبقة ومحاور صارمة للأسئلة التي تقود البحث[7].

البحث الإثنوغرافي هو ذلك النوع من البحوث التي يتم إجراءها بواقع طبيعي غير متكلف وبواسطة معيشة الباحث الفعلية الملاحظة بالمشاركة لجميع وقائع السلوك في الحقل،ودونما أي نوع من الضبط المسبق[8].

---

[3]. مرجع سابق، ص19.

[4]. محمود، الذاودي (2010)،**المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية إسلامية**، ط 1، بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر، ص ص 148 .149.

[5]. فهد، بن سلطان السلطان، **المنهج الاثنوغرافي – رؤية بحثية تجديدية لتطوير واقع العمل التربوي**، ص10.

[6] . **Dictionnaire encyclopédique** ,quillet , 1983,p411

[7] . http://www.quattanfoundation.org (consulé le 21/12/2011)

[8] . atkinson, Hammersley (1995), **Ethnography principile and practice**, library of congress, new york , usa,p10.

إن الاثنوغرافيا تختلف عن الاثنولوجيا كونها تعني" أعمال الباحثين والفولكلوريين وسواهم الذين بحثوا طبائع الشعوب وعاداتهم وثقافتهم وتقاليدهم ودورة حياتهم فيما أن الاثنولوجيا تعتبر دراسة تحليلية ومقارنة للمادة الاثنوغرافية،ولذلك فإنهما تكملان بعضهما البعض"[9] .

وتجدر الإشارة إلى أن الأنتروبولوجيا والاثنوغرافيا والاثنولوجيا لاتختلف فقط في الأسماء وإنما يكمن الاختلاف في المواضيع المختلفة التي تعالجها :كالإنسان أو المجتمع أو الشعب أو الثقافة،ورغم وجود نظريات وتيارات قديمة وحديثة مختلفة ، إلا أن الاقتراب واضح بين الآراء حول معنى الإثنوغرافيا.

إن الدراسة الإثنوغرافية تقدم لنا وصفا شاملا ومكثفا للظاهرة محل الدراسة ، في حين تقوم على مفهوم مشاركة أو إشراك المبحوثين بطريقة مباشرة في الدراسة وتقديم وجهة نظرهم بصورة شمولية وفاعلية من طرف الباحث والذي يجب أن يكون جزءا من مجتمع البحث أين يشترط "معايشتة المباشرة للمبحوثين".

3.1.العـــادات:

هي مأخوذة من كلمة تعود يتعود مصدرها تعويدة، وهي الكلمة أعيدة حتى صار تفعل من غير جهد، والعادة حالة تتكرر على نهج واحد[10].

4.1. التقاليـــد:

يرى عبد الغني عماد " أن الرأي السائد حتى الآن عند علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا يؤكد بأن الكائنات الإنسانية هي الوحيدة بين المخلوقات جميعها القادرة على خلق الثقافة، وتأكيدها لذلك فإن كل أعضاء الجيل يقتبسون عادات والديهم، فينقلونها إلى صغارهم ويدخلون عليها زيادات أو تعديلات تبعا لما ينبع من خيراتهم الخاصة .

فتركيب جسم الفرد وسلوكه يورثان بيولوجيا في حين أن معظم سلوكات المتعلم تورث اجتماعيا [11]،وعليه قد ازدادت هذه الوراثة الاجتماعية وأصبحت في الإنسان تلعب دورا رئيسيا مهيمنا في تكييف تصرفات الأفراد فهذا ما يسمى بالإرث الاجتماعي لأي ثقافة.

فلكي يعيش الإنسان و يستمر بقاؤه يغير كل ما حوله في مجالات الاتصال بالعالم الخارجي ببيئة صناعية ثانية، فشيد المنازل والأبنية الإيوائية أو الملذات ومهد الطرق و استعمل وسائل النقل، فقد أشبع الإنسان العديد من احتياجاته بفضل المصنوعات حتى في أبسط أنواع الحياة الإنسانية و هذا هو مغزى الثقافة و معناها بصفتها لحظة ما بعد الطبيعة حسب العبارة الأنثروبولوجية الدارجة، أي لحظة التاريخ الذي يبدأ مع انتقال فعالية الإنسان إلى بناء النظام الاجتماعي على أنقاض النظام الطبيعي.

---

[9]. op.cit ,p10.

[10]. الحسن،عيسى(2007)،**موسوعـة الحضـــارات**،ط1، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع،ص471.

[11]. عبد الغني، عماد (2006)،**سوسيولوجيا الثقافة والمفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة**،ط1،بيروت،لبنان: مركز الدراسات للوحدة العربية،ص38.

وعليه فالنماذج الثقافية باختلاف أنواعها انتقلت لدى كل فرد عن طريق التفاعل الاجتماعي بين الجماعات البشرية، لذلك تحدث عبد الغني عماد على" أن النماذج هي عبارة عن أنظمة فكرية التي أصبحت جزءا من ثقافة الجماعة، وتنتقل من جيل إلى جيل عن طريق التعليم الواعي وكذلك عن طريق المحاكاة، وفي الوقت الذي ترشد فيه نماذج المجتمع في محاولاته لتكييف الفرد، فإنها كذلك ترشد الفرد للتعامل مع الأوضاع التي لم يسبق له التدرب على مواجهتها[12] .

لذلك يؤكد أن الثقافة هي سلسلة من النماذج لما يجب أن يكون عليه السلوك بين الأفراد، ولا يمكن لنموذج ثقافي أن يتميز إذا فرض واجبات متضاربة على الشخص الواحد، وإلا فلا يستطيع المجتمع أن يؤدي وظيفته وعليه بقدر ما تكون المجتمعات حصيلة ثقافة، فالثقافة هي أيضا حصيلة تفاعل الأفراد في المجتمعات من جهة أخرى، ويمكن القول أن الثقافة تمكن الإنسان من التعبير عن القيم والمثل وتساعده في فهم محيطه، لذلك سنتطرق إلى بعض ملامح الحياة الثقافية والاجتماعية بمنطقة الدراسة وهي كالتالي:

2. العـادات و التقاليد بولايــة المديـة :

يعيش الإنسان حياته بطريقة تتوافق مع الظروف المعيشية والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع، أمور اعتدنا على وجودها بشكلٍ أو بآخر، رغم قِدمها وغرابة بعضها وجهلنا بمدى حاجتنا لوجود بعضها وصعوبة الاستغناء عنها لفقدانها أي تأثير ايجابي في الحياة، وعرقلة بعضها لمسار تطوير المفاهيم الدنيوية الحديثة، و إن تشابهت أو تقاطعت عادات وتقاليد مع كثير من مناطق الوطن، إلى أن مرت به عبر العصور من تعاقب الحضارات والثقافات، إضافة إلى مساحتها الشاسعة وتنوع مناخها كل ذلك جعلها فسيفساء تراثية ثقافية بامتياز،وبرغم التطور الحاصل في كل مناحي الحياة مازال أفراد المنطقة يحتفظون بالكثير من عاداتهم وتقاليدهم التي ورثوها عن أسلافهم ولم تستطع المعاصرة أن تمحو الأصالة فتعايشتا في انسجام، ومن بين هذه العادات زيارة أضرحة أولياء الله الصالحين خاصة ضريح الولي سيدي ناجي، مما شكلت هذه الزيارة عادة ورثها الأحفاد عن الأجداد .

1.2. اللباس التقليدي بولايــة المديــة :

إن اللباس في ولاية المدية له حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة، فاهتمام أهلها به تعدى الحاجة إليه، فجعلوا منه عنوانا للمكانة والمقام، فأبدعوا فيه مازجين في صنعه بين إرث البربر الأصيل ورقة ذوق المورسكين ودقة الإبداع العثمانيين، فنساء المنطقة حافظن على لباسهن التقليدي من زحف الموضة، وحق لهن أن تعتز النساء به فهو يجمع بين الدلال والأناقة والجمال معاً، وبالرغم من صور التطور التي طرأت على المجتمع الكلي لمنطقة الدراسة إلا أنه لا يمكن الاستغناء عن اللباس التقليدي في مختلف المناسبات فهو عنوان الأصالة والحضارة .

---

[12]. مرجع سابق ،ص42.

"ومن أعرق الألبسة التي ترتديها نساء المنطقة الحايك المرمة والعجار،والقويط،ومحرمة الفتول،والسروال المدور،والسروال الشقة، والبعض يسميه سروال الشلقة، وأيضاً الكراكو المطرز بالمجبود أو الفتلة أو الشعرة أوخيط الروح وغيره، ويزيد اللباس جمالا ما تضعه النسوة من حلي خاصة.

تقرير مصور حول موضوع المدية عاصمة بايلك التيطري شبكة زاد المسافر– صورة تبين منتوج من ألبسة تقليدية نسوية (محملة من الانترنت بتاريخ2020/03/05 على الموقع الالكتروني : https://www.google.com/search?sxsrf=APq-WBuHdj84qiAJiLkschGGzYP1mHsuvg

وحسب أعيان المنطقة أن الحايك والعجار كما يقلن في مقولتهن الشهيرة(**الحايك المرمة الشان والهمة)** وأنه لباس تقليدي ترتديه المرأة فوق ملابسها عند الخروج من البيت حيث تلف نفسها به لتستره و لحرمة جسمها كاملا، وتضع العجار الذي تزينه الشبيكة على النصف السفلي من وجهها .

وهناك أنواع عديدة منه ويبقى الحايك المرمة المصنوع من الحرير أفخرها على الإطلاق ودليل على المكانة الاجتماعية الرفيعة، وأنه صار من النادر أن تصادف في الشارع إمرأة تلبسه ما عادا في بعض المناطق الريفية مثل منطقة أولاد ذايد، وهذا حسب أعيان المنطقة أن كل إمرأة تحتفظ بواحدة منه خاصة العروس التي لا تخرج من بيت أهلها إلا به .

2.2. الطبخ والمأكولات الشعبيـة بولاية المديـة :

إن الطبخ مثل اللباس فقد تعاقبت الحضارات وتنوعت المناخات في ولاية المدية فتنوعت أطباقها و مأكولاتها، وإذ كانت المدية تشترك في الكثير من الأطباق مع مناطق مجاورة كالجزائر العاصمة والبليدة، إلا أن برودة جوها جعل أفرادها يحبذون الأطباق الدسمة، فاشتهروا بأطباق معروفة كالبوزولوف والدوارة التي منها يصنع العصبان أشهر الأطباق على الإطلاق دون أن ننسى المثوم والطعام والرشتة و الروينة والمثقبة وغيرها، كما أن بعض أطباق أهل المدية لن تجدها في أي منطقة من الوطن كالبرغل"والبلبول" ربما أن كثير من مناطق

الولاية تغمرها الثلوج لأيام طويلة، وتقطع عنها السبل فقد ورث الأبناء عادة العولة * كما يتميز جنوب المدية بأطباق مشهورة مثل الرفيس و الشخشوشة و الكسكس ، كل هذه الأكلات منها ما يحضر في أيام الأسبوع ومنها من تحضر في المواسم والأعياد مثل باقي مناطق الوطن الجزائري .

3.2. الوعـدات والمواســم والأعيــاد بولايــة المديــة:

" إن أهل ولاية المدية يحتفلون بالأعياد الدينية والموسمية كباقي مختلف ولايات الوطن، فهذه المناسبات تكون دائما فرصة لاجتماع العائلات في أجواء احتفالية تميزها طقوس وممارسات ووعادات وتقاليد هي من صميم إرثهم الحضاري[13] .

وتبقى بعض الأعياد الموسمية لها مكانة خاصة لا تضاهيها إلا مكانة عيدي الفطر والأضحى ومناسبة المولد النبوي الشريف، حيث يخصصون لها حيزاً كبيراً من اهتماماتهم، مثل موسم يناير الذي يتزامن مع رأس السنة الأمازيغية ويسمى في بعض المناطق عيد الجراز، أي تجتمع العائلة في ليلة الثاني عشر من جانفي على مأدبة عشاء استثنائية (الرشتة بالدجاج أو بلحم الغنم) .

وبعد العشاء تجتمع العائلة ويوضع أصغر أطفال العائلة في الجفنة * ويصب فوق رأسه الجراز وهو خليط من الحلويات والمكسرات وقطع من حلوى العنب ويوزع على جميع أفراد العائلة في جو من الفرح والابتهاج والسرور.

صورة تبين طبق الرشته بالدجاج (التقطت يوم 2021/02/21) على الموقع الالكتروني
https://www.facebook.com/112693970379413/posts

---

* العولة : وهي عادة تخزين مؤونة تحضر صيفاً قوامها الكسكس، المحمصة، والمردود، أو البركوكس الروينة والخليع أو اللحم المقدد وغيرها من المواد القابلة للتجفيف.

* البلبول : يعد من أشهر الأطباق لولاية مدية، ويهرس الخبز اليابس ثم يفتل بالدقيق يطحن الزعتر ويضاف إليه، ويقدم مع السكر واللبن ويُحضر خاصة في فصل الشتاء.

* البرغل : هو القمح بعد نضجه يغلى في الماء ثم يجفف ليطحن بعدها بحجم معين، ويحضر شوربة أي حساء خاصة في فصل الشتاء، كما يضاف في أطباق أخرى كالطبيخة مثلاً، وتفضله عائلة المنطقة في حشوة العصبان .

[13]. مرجع سابق ، ص 48 .

*الجفنة : و هي عبارة عن قصعة كبيرة .

أما الاحتفال بالمولد النبوي الشريف فولاية المدية فيها عادات وتقاليد متوارثة أباً عن جد وتشترك فيها مع باقي مناطق الوطن، بالإضافة إلى الاحتفالات في المساجد أين تدرس السيرة النبوية، أما بالنسبة للبيوت ففي المولد نكهة خاصة حيث توقد الشموع وتأخذ كل شمعة اسم أحد أفراد العائلة، كما يحضر طبق الرشتة بالدجاج و أطباق الطمينة * التي تصاحبها طقوس الحناء.

صورة تبين طبق الطمينة (التقطت يوم 2020/02/21) على الموقع الالكتروني :https://recette-en-image.blogspot.com

أما بالنسبة للوعدات فهي ناتجة عن التنوع الطبيعي والحضاري والثقافي لولاية المدية مما جعل أيامها تبتهج بمجموعة من الأعياد والوعدات التي تصنع لوحة تراثية اجتماعية ومن بين الوعدات التي مازالت تقام ليومنا هذا(وعدة حناشة)التي تعتبر من إحدى الاحتفالات الشعبية المحلية التي تحييها ولاية المدية، ويطلق عليها أيضا تسمية "طعم حناشة".

وتقام هذه الوعدة مرتين في السنة، الأولى عند بداية موسم الحصاد في شهر ماي والثانية عند بداية موسم الحرث والبذر في نهاية شهر سبتمبر، ويتم الاحتفال بهذه الوعدة (الطعام) عن طريق تحضير قصاع و أطباق كثيرة من الكسكس واللحم، وتقدم لكل الزائرين مهما كانت مكانتهم الاجتماعية، طمعا من أهل منطقة حناشة و أملا في موسم فلاحي سخي بالخيرات، وحسب أعيان المنطقة كانت أيضا منطقة سيدي ناجي المعروفة حاليا بأولاد ذايد تعرف هذا النوع من الوعدات إلا أن أهل المنطقة امتنعوا عن إحيائها نتيجة لما عاشته المنطقة من أزمات في العشرية السوداء .

* الطمينة: فهي حلوى مصنوعة من السميد والعسل والزبدة تقدم في المناسبات والأعياد الدينية والعائلية، بداياتها كانت ولازالت بكل ما يرمز لقيمة الفرح، وتزين بها سفرة المولد النبوي مع تزيينها بالقرفة والمكسرات، ومنذ عشرات السنين، كان إعداد هذه الحلوى مرتبطاً بازدياد مولود جديد، حيث كانت النسوة تحضرها قبل الذهاب للمرأة للاطمئنان عليها وتهنئتها بمولودها الجديد.

كذلك عيد العنب الذي يعتبر من الأعياد التي مازالت إلى يومنا هذا نظرا لغنى المنطقة بفاكهة العنب التي تتصدر قائمة المنتوجات الفلاحية بها، فولاية المدية تحي كل سنة بعد موسم جني العنب عن طريق إقامة الحفلات الفلكلورية وألعاب شعبية تتضمن المتعة والفرجة في وسط المدينة .

إلى جانب عرض مختلف أصناف هذه الفاكهة مثل "الداتي موسكة" "أحمر بوعمر" وغيرها وعليه ما تزال ولاية المدية إلى يومنا هذا تحتفل بهذا العيد ضمن معرض الفلاحة نظرا لطابعها الفلاحي وتنوع منتوجاتها الفلاحية والنباتية والحيوانية .

4.2. الحرف والصناعات التقليدية بولاية المدية:

مازالت الصناعة التقليدية تمارس اليوم على الصعيد العربي وهي من الصناعات التي تحتاج إلى الخبرة بحيث يتعلم الأبناء هذه الحرفة من الآباء والأجداد، ويقال بأن السيدات هن اللواتي يقمن بهذه الصناعة قديما بمفردهن[14] بحيث أصبحت كل قرية في المجتمع تتميز بصناعة صنف معين من الصناعات التقليدية وأشهر هذه الصناعات هي صناعة الفخار.

صورة تبين نوع من الصناعات التقليدية محملة من الأنترنت بتاريخ: 20/02/ 2018 على الموقع الالكتروني : www.el-massa.com

على الرغم من الصعوبة التي تكتنف تحديد مكان وزمان ممارسة الصناعات التقليدية، فإن الشواهد المادية تؤكد بأنها أقدم الصناعات التي لقيت قدراً كبيراً من العناية خلال العصور المختلفة، ومن ثم يعتبرها الباحثون من المواد الأثرية الهامة نظراً لكثرة مخلفاتها التي تفوق أي مادة أثرية أخرى وبواسطتها يمكن تتبع المراحل الحضارية المختلفة، وأضحت أهميتها الأساسية في فهم الحضارات البشرية لأنها أقرب من الإنسان ولما لها من علاقة وطيدة تجمع الاثنين، لذلك من خلال ملاحظتنا المتكررة لوحظ أن ولاية المدية اشتهرت منذ

[14]. سعاد ،علي شعبان (2004)، **الأنثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا**، القاهرة :معهد البحوث للدراسات الإفريقية ،ص69.

القدم بحرفها التقليدية وهي التي كانت ومازالت مصدر رزق للكثير من أهلها، وإن كان بعضها أصله بربري مثل صناعة الطين أو صناعة النسيج بمختلف أنواعه، فإن البعض الآخر منها وفد مع الأندلسيين والعثمانيين مثل صناعة المجبود والطرز وصناعة الجلود خاصة الأحذية وكذلك الخزف .

إن الحفاظ على المقتنيات يعني صيانة الجذور الإنسانية من الزوال والاندثار، باعتبارها شاهدا ماديا على ما خلفه الإنسان منذ العصور القديمة إلى يومنا هذا[15].

إن دراسة الفخار له دور كبير في التأريخ والتعرف على حياة الإنسان في العصر القديم خاصة نمط عيشه وتجارته وصناعته ومعتقداته الدينية، ولقد ارتبط الفخار منذ القديم ارتباطا وثيقا بحياة الإنسان وتطور صنعه من مرحلة إلى أخرى باعتبار تغير الأذواق وتطورها خلال العصر القديم، أضف إلى ذلك اختلافه من طبقة إلى أخرى ، إذ للأغنياء والأرستوقراطية فخارهم الخاص بهم وللعامة فخارهم وكذلك للتجار أيضا فخارهم ولسكان الريف أيضا فخارهم الخاص بهم.

يعتبر الفخار دليلا ملموسا لدراسة الآثار إذ تساعدنا هذه الدراسة على التعرف على الحضارات القديمة ومعرفة الصلات بينها خاصة الدينية والتجارية، كما يمكننا من معرفة كيفية انتقال الخبرات من حضارة إلى أخرى في مجال صناعة الفخار، ويحدد لنا الفخار الفترات الزمنية والتاريخية وذلك من خلال دراسة الألوان الفخارية المكتشفة خلال الحفريات الأثرية أو المكتشفة في السفن الغارقة أو التي ترافق الموتى في المقابر كما يعطينا فكرة عن الحياة الدينية والجنائزية ، والحياة الاجتماعية واليومية والأهم من ذلك المبادلات التجارية والنقش على الخشب [16].

[15]. عائشة ، فاطمي(2017)، **دور المؤسسة المتحفية في حفظ التراث الأثري**، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد الثالث ،ص01.

[16]. رياض ،الورفلي (2018). **الأواني الفخارية في متحف جنزور (أواني السيجيلي نموذجا)**، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد الثامن ، ص1.

صورة تبين أحذية تقليدية الصنع بولاية المدية التقطت بتاريخ : 2019/03/06 حملت من الموقع الالكتروني :

https://ar-ar.facebook.com/pages

بالإضافة إلى حرف أخرى دخلت الولاية حديثاً و أصبحت رائدة في ممارستها مثل صناعة الزرابي والنقش على الجبس الذي أصبح يزين أسقف معظم مساجد الولاية، وزواياها ومختلف قباب الأضرحة حتى أنه انتقل إلى المنازل، لذلك فولاية المدية اليوم تظم العديد من الحرفين الذين أضافوا للإبداع جمالاً ، وبذلك أسهموا في الحفاظ على موروث ولاية المدية من جهة، وفي خلق حركية فنية منتجة تساهم في تحريك اقتصاد الولاية المحلي من جهة أخرى[17].

وكذلك يمكن أن نتطرق إلى الآلات الموسيقية التي تعتبر جزء من الصناعات التقليدية بالمنطقة، وهي آلات خاصة في المجتمعات المغربية و العربية و الإفريقية، فمن بين الآلات هي الطبل و البندير الذي يقصد به الدف وكذلك الطمطم و الدعدوع، أما في الحديث عن الآلات الوترية فهي البانجو مع تعديلات الإيقاعية لتصبح "سنتيرة" أو "الهجهوج"، وهذه الآلات من أصول افريقية ثم العود بعمقه العربي الذي يعبر عن القيمة للعناصر الموسيقية العربية الوافدة، التي أغنت التراث الموسيقي العربي والمغربي بصفة عامة نتيجة ما جلبته من مقامات وموازين وآلات وترية ونقرية وهوائية، وهي آلات كانت مستثمرة في أجواء الحفلات.

فالبندير أو الدف كان أحقر الآلات في المغرب العربي لأنه ارتبط بآلات مجموعة الشيخات نساء مغنيات والطبل كان يستعمله الموسيقيون المتجولون وكان عادة افريقية قديمة في السودان وانتقلت إلى المغرب في عهد المرابطين، فهذه الآلات تستعمل في حفلات الزواج ومواكب الأعراس والشوارع، حيث الغيطة الصاخبة ودقات الطبول ورغم تجدد عادة الزواج، فإن المواكب الاحتفالية والموسيقى بقيت محافظة على التقاليد القديمة التي تكون فيها للموسيقى جولات فرسان القبيلة تسبقهم دائما الفرق الموسيقية الغيطة والبندير مع إنشاء القصائد تعبيرا عن الفرح .

صورة تبين نوع من أنواع الآلات البدوية التقطت يوم 2018/02/20 محملة من الموقع الالكتروني:

[17]. ميلود ، بالحنيش وآخرون، **المدية عروس الجبال**،المدية، الجزائر: مديرية الثقافة للمدية للنشر،ص50.

https://www.eskchat.com/article 10604.html

ومن خلال دراستنا يمكننا أن نلخص أهم بعض الصناعات والحرف التقليدية التي مازالت مستمرة ليومنا هذا وهي كالتالي:

صناعة الخزف الفني وهي من أهم ما يميز الصناعة التقليدية الفنية في ولاية المدية، والتي يستطيع أن يلمحها الزائر فوق جدران الولاية وفي الساحات العمومية التي تحتوي على نماذج الخط العربي وكذا الزخارف الأندلسية، ويعتبر الخزف الفني والزليج فناً لتراث الولاية محض ذا أصول عربية أندلسية، فقد توارثه الأبناء عن الأجداد منذ القدم، كذلك صناعة الحلفاء والسلاسل التي تعد من الصناعات الراقية كمادة أولية تستورد من إفريقيا وأمريكا اللاتينية وهي لا تتطلب أدوات كثيرة أو معقدة إذ تعد مهارة حركات يد الحرفي وابتكار التقنيات التي تجعل من صنعته متألقة تتجسد في مختلف أنواع الحصائر، والحبال المستعملة في تزيين المقاعد، والقبعات والمضلات الشمسية وغيرها من الأدوات التي تستعمل في المنازل لزينة وأغراض أخرى، إلا أنها تحوز إعجاب الكثير لبساطتها التي زادت من جمال منتجاتها.

صورة تبين صنع السلة التقليدية بولاية المدية التقطت بتاريخ 2018/02/19 حملت على الموقع الالكتروني :
https://www.startimes.com/?t=31063339

كذلك الطرز التقليدي على القماش الذي هو فن حضاري يقدم عبر الأشكال والألوان والتقنيات شهادة حية لزمن مضى، ويشكل كل عمل زيادة للمظهر الإبداعي انعكاساً للحياة اليومية، وهذا ما نلمسه جلياً فوق الأقمشة المطرزة بأشكال مختلفة للشراشف وكذلك الألبسة التقليدية .

وعليه يمكن القول أن نشأة العادات تبعا لظروف مشتركة في مجتمع معين والتي مارسها عدد كبير من الممكن أن تصبح عادة جماعية وتمثل مجموعة من الأفعال و الأعمال والألوان والسلوك التي تنشأ في قلب الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوكها و

أوضاعها، وتمثل ضرورة اجتماعية تستمد قوتها من هذه الضرورة، لذلك من الصعب على الأفراد الخروج على مقتضياتها، لذلك فهي مفهوم يستخدم للإشارة إلى مجموع الأنماط السلوكية التي تبقى عليها الجماعة وتتناقلها عن طريق التقليد والتفاعل مع الآخرين"[18].

ويعبر "مالينوفسكي" عن العادة بأنها روتين الحياة التي يشهدها الأفراد وذلك الروتين الذي يتعلق بطبيعة اللهجة واللغة التي تستعمل في الحياة اليومية، والتي تتفاعل مع الرموز السلوكية فتكون جملة من الظواهر الاجتماعية المعقدة يصعب على العالم تدوينها أو وصفها أو تحويلها إلى أرقام، ومن كلمة الروتين التي جاء بها "مالينوفسكي" فهو يقصد العادة لأن الروتين هو ما تكرر وينتقل للأجيال المتعاقبة يعني أن العادة تمثل كل الأعمال والأفعال التي يقوم بها الأفراد ويتعودون عليها لذلك فهي ممارسات تتطلبها الحياة الاجتماعية في أي مجتمع"[19].

أما العادة فيقصد بمفهوم "ايكسيس" الذي ترجمه في العصر الوسيط آلبير لوجران وتوماس الأكويني بكلمة هابيتوس في التقليد الأرسطي وهي مجموعة من الأحكام المكتسبة والثابتة وخصوصا تلك التي تكتسي طابعاً أخلاقياً وتلفت انتباهنا الرؤية التي وضعها

بير بورديو في علم الاجتماع ابتداء من النصف الثاني من الستينيات أي أهمية الأنظمة أو قوالب الإدراك والتقدير والفعل في عملية التنشئة الاجتماعية، وهي أنظمة مستدامة وقابلة للتغيير وتستخدم لدعم عمل التعليم والاندماج [20].

وهذا ما تم ملاحظته في المجتمع الجزائري بصفة عامة أن العادات والتقاليد متوارثة عن طريق الأحفاد من خلال التنشئة الاجتماعية والثقافية،ولقد اشتهرت الدراسات الاثنوغرافية لثقافة الطعام الشعبي أو المأكولات الشعبية في مجتمع ما وهي دراسات وصفية تهتم بالعمق الزمني وبالناحية التاريخية للطعام في ثقافة معينة، فهذه الدراسات يمكن أن تعطينا وصفا لجميع العمليات المتعلقة بالحصول على مواد الطعام وكيفية تحضيره وتقديمه واستهلاكه، وكذلك يمكن أن تعطينا وصفا للمواد التي تدخل في تحضير الطعام وكمياتها وطريقة معالجة كل منها، فالطعام والمأكولات الشعبية لها وظيفة اجتماعية خاصة في كل خطوة يعالج بها الطعام من بداية الإنتاج حتى الاستهلاك، والتي تخضع لقوانين وعادات وتقاليد وآداب وأعراف، كلها موروثة اجتماعيا ويفهمها أبناء المجتمع الواحد، ويتعلمونها من أجل تبادل المعاني وتنظيم العلاقات الاجتماعية بينهم خاصة في الأعراس والمناسبات الاجتماعية والدينية [21] .

تتميز المجموعات الاثنية بشكل عام باستعمالها لطعام ما خاصة بعض الفئات الاثنولوجية التي تمتاز بطبق أو طبخة أو أكلة كما يرمز استعمال هذا الطبق إلا العضوية في تلك الفئة وقد لا تمتاز فئة اثنيه معينة بمادة الطعام المعينة أو طبق محدد وتكون في أوقات ومناسبات محددة .

---

[18]. عبد الغني، عماد(2006) ،**سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة**، ط1، بيروت، لبنان: مركز الدراسات للوحدة العربية،ص152.

[19] . رشدان ،عبد الله (2004) ، **علم الاجتماع التربية** ، الأردن : دار الشروق للنشر والتوزيع،ص139.

[20]. فريول،جيل(2015)،**معجم مصطلحات علم الاجتماع**،ط1، بيروت:دار مكتبة الهلال للنشر،ص99.

[21]. شريف،كنعانة (2011)، **دراسات في الثقافة والتراث والهوية**، رام الله فلسطين: دار نادية للطباعة والنشر،ص 204.

صورة تبين حلويات المسمن (التقطت يوم2018/03/05) https://www.google.com/search

من خلال تسليط الضوء على الأطعمة والمأكولات الشعبية من أجل الاستدلال بالمغزى الديني لرموز الطعام والتي لا تقتصر في دلالاتها على علاقة الإنسان بالإنسان بل تتخطاها إلى علاقة الإنسان بالله وبالقوى الخارقة عن طريق الالتزام بالمحرمات في الطعام أو تقديم القربان أو توزيع الطعام على أرواح الموتى مثل طبق المسمن، أو تقديم الأضحيات في الأعياد وعند قبور الأولياء.

أما بالنسبة لرجال المنطقة أيضا لهم لباسهم التقليدي الخاص بهم فبالرغم من مظاهر التطور فإنهم لم يتخلوا عن بعضها " فالقشابية سواء كانت من الوبر أو الصوف، فإنه لا غنى عنها إلى اليوم وخاصة في أيام شدة البرد، وكذلك البرنوس هو عنوان المقام وأما عن اللباس الذي كان يلبسه أهل الزمن القديم ونقصد به "سروال اللوبية و البدعية والجبلية والعمامة أو القشطة" فإنه حكاية زمن أرادها الأحفاد حكاية تراثية تحتفظ في خزائن يعودون إليها كلما احتاجوا إليها[22] .

ومهما كان من أمر، فالجزائر بحاجة ماسة اليوم إلى إعادة هيكلة مؤسسات تراثها الثقافي ، وفق رؤية واعية ، ومتأنية ، بعيدة عن ضغوط الظروف باعتبار أن كل ما حصل في الجزائر حتى اليوم كان منطلقه دواعي الظروف الآنية القاهرة، ومن ثم اقتراح حلول عاجلة، إما لتقديم حل استعجالي آني ، سرعان ما تثبت التجربة فشله والقفز في أحضان المجهول .

انعدام إستراتيجية واضحة المعالم في مجال وقاية التراث الأثري وحفظه حيث يلاحظ على بنية السياسة الوطنية نزوعها للتكيف مع الأحوال الظرفية دون التفكير بعمق في نظرة استشرافية تقعد التراث الأثري في موضعه الصحيح من موضع بيئته العامة بسبب استمرار الحلول الترقيعية القائمة بين الفينة والفينة الأخرى والتي لا تحل المشكل في واقع الأمر بقدر ما ترجيه أي فترة أخرى وتعقيد معضلته أكثر

[22]. مرجع سابق ، ص 46.

فأكثر ليس إلا أن السياسة الوطنية لم ترقى بعد لمستوى التطلع ، بحيث تركت أثرا واضحا على مصير التراث الأثري الوطني،خاصة وأنه ليومنا هذا لم تنته بعد من الإسراع في إنهاء الخريطة الأثرية الوطنية ، إضافة إلى تأخر البحث الأثري في مجال التراث الأثري كالصيانة والترميم ، علم المتاحف ، الحفظ والوقاية ، ومن هذا المنطلق على الدولة الجزائرية مواكبة العصر خاصة وأننا في عصر التطور الاقتصادي والاجتماعي من خلال تبنيها لسياسة جديدة في مجال حفظ التراث الأثري وترقيته، وتحسين الأداء الميداني[23].

3– خاتمة :

في الأخير يمكن القول أن القراءة الاثنوغرافية تأتي في مقدمة البحوث النوعية والتي حظيت بالاهتمام والنقاش باعتبارها الطريقة أو الأداة المناسبة لفهم أساليب وطرق عيش مجتمع ما ، وذلك من خلال رصد سلوكيات أفرادها والتعرف على عاداتهم ومعتقداتهم وقيمهم حيث تعتمد هذه القراءة على الموضوعية في الوصف والتحليل باستخدام الكلمة والعبارة عوضا عن الأرقام والجداول الإحصائية .

وباعتبار أن بلادنا تتميز بالموروث الثقافي المتنوع والذي تعتمد عليه الأسرة والمجتمع الجزائري مهما كانت نوعيته وهو يساعد على إشباع حاجياتها النفسية والروحية، فإنها دائما تحاول الأسرة جاهدة أن تنقل هذا الموروث الثقافي دون تعديل أو المساس بقيمته وبقداسته إلى أبنائها من خلال التنشئة الاجتماعية التي تمثل جوهر عملية نقل الفرد للموروث الاجتماعي والثقافي، وهذا يبن لنا أن العلاقة بين الثقافة والتنشئة الاجتماعية علاقة مترابطة ومتداخلة تتميز بالديناميكية والحيوية لأن الحياة الثقافية والاجتماعية لا يمكن الحفاظ عليها وتنميتها إلا عن طريق التنشئة الاجتماعية والثقافية، باعتبارهما الوسيلة الفعالة التي تحقق هذا النمو السليم وحتى تنتقل الثقافة من جيل لآخر.

وفي ختام دراستنا هذه،ومن خلال الصور التي تم إدراجها وبعد دراسة مختلف العادات والتقاليد الموجودة بولاية مدية، يمكننا القول أن هذه الولاية تشكل بحق فسيفساء اجتمع فيها الموروث السوسيوثقافي انطلاقا من محطات تاريخية،وبالتالي فهذه المنطقة تعتبر ملتقى للثقافات الإنسانية وتتميز بتسلسل حضاري ثقافي واجتماعي واضح، ومن هذا المنطلق فقد توصلنا إلى العديد من النتائج و

---

[23]. جازية، الفيلالي. (2017)، **إستراتيجية تثمين التراث الأثري وترقيته طبقا لمبادئ النصوص التشريعية الوطنية (دراسة تقييمية)**، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية ،العدد الأول، ص ص 110.105.

التوصيات التي من شأنها حفظ التراث السوسيوثقافي للمنطقة من جهة ، وتعميق البحث التاريخي الأثري من جهة أخرى،وأهم هذه النتائج هي :

- ضرورة برمجة و إعداد إحصاء وجرد شامل لجميع التراث السوسيوثقافي للمنطقة و إعداد أطلس أثري لها وفقا لمقاييس علمية صحيحة .
- ضرورة وضع برامج حماية من شأنها حفظ التراث السوسيوثقافي والتاريخي للمنطقة كونه يشكل تسلسلا زمنيا يعرفنا من خلاله بمختلف المراحل التاريخية التي مرت على الجزائر ككل.
- ضرورة تنظيم مؤتمرات و ملتقيات وندوات علمية تهتم بدراسة الموروث السوسيوثقافي للمنطقة و التعريف به .
- السعي لجمع البقايا الأثرية الخاصة بالمنطقة و إدراجها ضمن قائمة التراث المادي و الأثري للولاية .

4. قائمة المراجع:

أولا: الكتب:

- الحسن عيسى، (2007)، **موسوعـة الحضـــارات**، ط1، بيروت،الأهلية للنشر والتوزيع.
- الذاودي محمود، (2010) ،**المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية إسلامية**، ط1،بيروت،المؤسسة الجامعية.
- الهواري صلاح الدين،(2010)، **المعجم الوسيط** ، بيروت، دار مكتبة الهلال للنشر.
- بن سلطان السلطان فهد، **المنهج الاثنوغرافي – رؤية بحثية تجديدية لتطوير واقع العمل التربوي** .
- خلف بشير،(2013) ،**مؤنســـات ثقافية**، الجزائر، دار الهدى للنشر.
- عبد الغني عماد، (2006) ،**سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة**،ط1،بيروت،لبنان، مركز الدراسات للوحدة العربية.
- علي شعبان سعاد،(2004) ، **الأنثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا**، القاهرة،معهد البحوث للدراسات الإفريقية.
- فؤاد البستاني افرام ،(1973)، **منجد الطلاب**، بيروت، دار المشرق.
- ميلود بالحنيش وآخرون، **المدية عروس الجبال**،المدية، الجزائر،مديرية الثقافة للمدية للنشر.
- رشدان عبد الله ،(2004) ، **علم الاجتماع التربية**، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع
- فريول جيل، (2015)، **معجم المصطلحات علم الاجتماع**، ط1، بيروت، دار مكتبة الهلال للنشر.
- كنعانة شريف، (2011) ، **دراسات في الثقافة والتراث والهوية**، رام الله فلسطين، دار نادية للطباعة والنشر.
- Dictionnaire encyclopédique,quillet,1983.
- atkinson, Hammersley,(1995), **Ethnography principile and practice**,library of congress, new york , usa
- anthony,giddens ,(1994),**sociology cambidage**.mapolitypress.

ثانيا:الرسائل الجامعية :

- أسعد فايزة ،(2012)،**العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة**–مقاربة سوسيوأنثروبولوجية لعادات الزواج والختان، أطروحة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران،الجزائر.

ثالثا: المقالات والأبحاث المنشورة بالمجلات العلمية :

- فاطمي عائشة،(2017)،**دور المؤسسة المتحفية في حفظ التراث الأثري**، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد الثالث .
- رياض الورفلي،(2018)،**الأواني الفخارية في متحف جنزور (أواني السيجيلي نموذجا)**، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد الثامن .
- الفيلالي جازية،(2017)،**إستراتيجية تثمين التراث الأثري وترقيته طبقا لمبادئ النصوص التشريعية الوطنية (دراسة تقييمية)** ، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية،العدد الأول.

رابعا: المواقع الالكترونية :

-http://www.quattanfoundation.org (consulé le 21/12/2011)